البحر عوضاً من خضمة إلى خضمة وإنما هي في موضع إلى موضع أي من خضمة
واحدة وكان ذلك البحر في بعضها موضع النجاة وكما يلحق والبحر ... أيام
كثيرة بسبب الجبال وعار حاله وقيل انفلق البحر عن اثني عشر
عشر طريقاً لكل سبط طريقاً فلما دخلوها قالت كل طائفة غرق أصحابنا
وجزعوا فقال موسى عليه السلام اللهم أعني على أخلاقهم السيئة
فأوحى الله إليه أن أدر عصاك على البحر فأدارها فصار في الماء فتوحاً
كالطاق يرى بعضهم بعضاً وجازوا وجبريل في ساقتهم على ماذيانة يحث بني إسرائيل ويقول الحقوا بفرعون
مهلاً حتى يلحق آخركم أولكم وطلع فرعون إلى البحر أراد الدخول فنفر فرسه فتعرض له جبريل بالرمكة
واتبعت الخيل بعضها بعضاً وخرج آل فرعون ومكائيل يحثهم فلم يبق أحد إلا وبل في ساقتهم على الضفة وحين انطبق البحر عليهم
فغرقوا وينظرون قيل معناه بإبصاركم يرى بعضهم بعضاً وقيل ببصائركم للاعتبار لأنهم كانوا في شغل عن النظر
وفي أخبار القرآن على لسان النبي صلى الله عليه وسلم إهلاك المعجزات التي لم تكن علم العرب ولا وقفت على
حجة على بني إسرائيل دليل واضح على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وموسى
اسم أعجمي قال ابن إسحاق وهو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل
صلى الله عليه وسلم وخص الليالي بالذكر في قوله سبحانه وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة إذ الليلة أقدم من
اليوم وقبله في الرتبة ولذلك وقع بها التاريخ قال المفسرون وفي ذلك إشارة إلى صلة الصوم لأنه لو
ذكر الأيام لأمكن أن يعتقد أنه كان يفطر بالليل فلما نص على الليالي اقتضت قوة الكلام أنه عليه
الصلاة والسلام واصل أربعين ليلة بأيامها قال ع حدثني أبي رضي الله عنه قال سمعت الشيخ الزاهد
الواعظ أبا الفضل بن الجوهري رحمه الله يعظ الناس بهذه المعنى في الخلوة بالله سبحانه والدنو
منه في الصلاة ونحوه وأن ذلك يشغل عن كل طعام وشراب ويقول أين حال موسى في القرب من الله تعالى
ووصال أربعين من قوله حين سار إلى الخضر لفتاه في بعض يوم آتنا غداءنا قلت والبطء ... آتى
أن موسى لم يصبه أولم ينشط ما شكاه من النصب حتى جاوز الموضع الذي وعد فيه لقاء الخضر عليهما السلام
قال ع وكل المفسرين على أن الأربعين كلها ميعاد وقوله تعالى ثم اتخذتم العجل من بعده أي إلهاً والضمير في
بعده يعود على موسى أو قيل على انطلاقه للتكليم إذ المواعدة تقتضيه وقصص هذه الآية أن موسى
عليه السلام لما خرج ببني إسرائيل من مصر قال لهم إن الله تعالى سينجيكم من آل فرعون وينفلكم حليهم وروي
أن استعارتهم الحلي كان بعلم أو إذن موسى عليه السلام وهو الأشبه به ويؤيده ما في سورة طه من
قولهم

١٩

قولهم لموسى أولاً إنا حملنا أوزاراً من زينة القوم ... فقذفناها فيما نقل القوم لم يشعروا ثم قال لهم موسى إن الله يبين لي
الله عليه كتاباً فيه التحليل والتحريم والهدى لكم فلما جاوزوا البحر طلبوا موسى بما قال لهم من أمر الكتاب فخرج
لميعاد ربه وحده وقد أعلمهم بالأربعين ليلة فعدوا عشرين يوماً بعشرين ليلة وقالوا هذه أربعون من الدهر
وقد أخلفنا الموعد وحليهم وكان السامري رجلاً من بني إسرائيل يسمى موسى بن ظفر ويقال إنه ابن
خال موسى وقيل لم يكن من بني إسرائيل بل كان غريباً فيهم وقالوا ... وكان من أهل باجرما وقيل فقيهم
قالت طائفة إنه كان مهندساً بعد أنه ملك وقالت طائفة كانت أم السامري ولدته عام الذبح فجعلته
في غار وأطبقت عليه فكان جبريل يغذيه بإصبع نفسه فيمص من إصبع لبناً ومن إصبع عسلاً ومن إصبع
سمناً فلما رآه وقت جواز البحر عرفه فأخذ من تحت حافر فرسه قبضة تراب وألقي في روعه أنه لا يلقيها
على شيء ويقول كن كذا إلا كان فلما خرج موسى للميعاد قال هارون عليه السلام لبني إسرائيل إن ذلك الحلي
الذي استعرتم من القبط لا يحل لكم فجيئوا به حتى تأكله النار التي كانت العادة أن تنزل
على القرابين وقيل بل أوقدوا ناراً وأمرهم بطرح جميع ذلك فيها فجعلوا يطرحون وقيل بل أمرهم أن
يضعوه في حفرة دون نار حتى يجيء موسى وروي وهو الأشبه أنه ألقى الناس الحلي في حفرة أو نحوها
وجاء السامري فطرح القبضة وقال كن عجلاً وقيل إن السامري كان أصله من قوم يعبدون البقر وكان في
نفسه ذلك وقيل بل كانت بنو إسرائيل قد مرت مع موسى على قوم يعبدون البقر فلنك والذي في القرآن أن
يعكفون على أصنام لهم قيل كانت على صورة البقر فقالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة فوعاها
السامري وعلم أن من تلك الجهة يفتنون فتنت بنو إسرائيل بالعجل وظلت منهم طائفة يعبدونه
فاعتزلهم هارون بمن تبعه فجاء موسى من ميعاده وغضب حسبما يأتي قصصه في مواضعه إن شاء الله
تعالى ثم أوحى الله إليه أنه لن يتوب عليهم حتى يقتلوا أنفسهم ففعلت بنو إسرائيل ذلك
فروي أنهم لبسوا السلاح من عبد منهم ومن لم يعبد وألقى الله عليهم الظلام فقتل بعضهم بعضاً فقتل
الأب ابنه والأخ أخاه فلما استحر فيهم القتل وبلغ سبعين ألفاً عفا الله عنهم وجعل من مات منهم شهيداً
وتاب على البقية فذلك قوله تعالى ثم عفونا عنكم وقال بعض المفسرين وقف الذين عبدوا العجل صفاً ودخل
الذين لم يعبدوه عليهم بالسلاح فقتلوهم وقالت طائفة جلس الذين عبدوا بالأفنية وخرج يوشع
ابن نون ينادي ملعون من حل حبوته وجعل الذين لم يعبدوه يقتلونهم وموسى عليه السلام في خلال
ذلك يدعو لقومه ويرغب في العفو عنهم وإنما عوقب الذين لم يعبدوا بقتل أنفسهم على أحد الأقوال
لأنهم لم يغيروا المنكر حين عبد العجل وإنما اعتزلوا وكان الواجب عليهم أن يقاتلوا من عبده وهذا أحد الأقوال